شاعر فارس :

أُفنون التغلبي

الدكتور عادل جاسم البياتي

قسم اللغة العربية

تزخر حياة العرب في عصورها القديمة ، قبل الاسلام ، بالآلهة والمعبودات ، وبالجن والكهنة والسحرة ... والشعراء . يربط بعضها ببعض رباط اسطوري متين ، تضرب جذوره في معتقدات غيبية لايسبر لها غور في اعماق الدهور الغابرة منذ ظهور العرب على صفحات التأريخ[١] .

وربما كانت علاقة الشعر بالسحر والكهانة اوضح من اية علاقة أخرى لبقية المعبودات والظواهر الميثولوجية المذكورة ، لان التماس هذا الجذر المفقود ، يغدو في الشعر والسحر والكهانة ، اسهل من طلبه في علاقة الآلهة بالكهان[٢] . ومع ذلك فان بعض ما يروى من قصص العرب واساطيرهم في العصر الجاهلي ، يرمز الى وجود علاقة من نوع العلاقة المنشودة في الشعر والسحر .

وكانت للكاهن منزلة كبيرة ،دونها منزلة الشاعر في بعض الاحيان ، فقد كانوا حكاماً للناس ينفرون اليهم في خصوماتهم ، كما فعل هاشم ابن عبد مناف عند احتكامه الى الكاهن الخزاعي لدى منافرته أمية ابن عبد شمس[٣] ، او كاهن بني أسد ، عوف بن ربيعة ، عندما اوحى لقومه أن تابعه اخبره انهم سيقتلون حجرا ابا امرىء القيس ، وظل يذمرهم على ذلك بوحيه حتى هبوا عليه وقتلوه[٤] .

وربما كان خط حياة الشاعر يمر من خلال الكاهن ، وكان بعض

الشعراء يتكهنون مثل زهير وعبيد بن الابرص ولبيد ، ان لم يكونوا جميعا في نفس المسار الفكري لطبيعة الشعر والسحر والكهانة ، وذلك لارتباطهم بالغيب عن طريق تابع من الجن او صاحب يقال له : رئي ، ويطلق عليه ايضا اسم : شيطان الشاعر(٥) .

واعطت النهاية التي رسمها خيال القصاص العربي الجاهلي لحياة أفنون التغلبي الشاعر مثل هذا المزج الاسطوري الخلاق . فقد روى انه مر بكاهن ، فسأله عن نهايته ، فأخبره انه يموت في موضع يقال له : الالاهة او « الاهة »(٦) . فاستقرت النبوءة من نفس افنون التغلبي حسا مقلقا طوال حياته ، ورسخ حاما مزعجا يريد ان يفيق منه ولا يريد ، يؤيد رفضه لفكرت الموت بالصورة التي اوحت بها نبوءة الكاهن ، وانه افاق من سحر هذه النبوءة . فمن ذلك قول أفنون نفسه(٧) .

يا أيها المزمع وشك النوى
لايثنيك الحازي ولا الشاحج(٨)

ولا وعول نجّشت كدّساً
خارجها من غمرةٍ والج(٩)

كل له داع الى وقته
ليس لنفس عن رديً خالج(١٠)

فاقصد لاقصى همّةٍ نضوها
قد يدرك المشبوبة الحادج(١١)

لكن الصورة رسمتها النهاية المأساوية التي اسدلت الستارة على خاتمة حياته ، تؤكد سقوطه تحت وطأة الفكرة ، وانه خضع طوال حياته لنبوءة الكاهن ، خضوعا افسد عليه لذة العيش ومتعة العمر .

ويبدو ان زمنا ليس بالقليل قد انقضى على نبوءة الكاهن او « الحازي » كما سماه افنون(١٢) . فقد خرج افنون وفي صحبته ركب

من قومه يرافقهم اخوه « معاوية » يريدون الشام في سفر لتجارة أو غارة او شيء منهما • حتى اذا وجدوا انفسهم في اعماق الجزيرة تاه بهم الدليل ، واختفت معالم الطريق ، فلم يعودوا يميزون منها شيئا• وبينما هم يضربون في الصحراء يائسين ، ارتفع لهم على البعد شبح لمحوا فيه بعض رجائهم في النجاة والفرج،فقصدوه،فاذا هموجها لوجه أمام انسان بدوي من العرب • فتشبثوا به يسألونه ، ويستهدون بهديه ، فدلهم على الطريق • وكان مما قاله لهم ، انكم بعد ذلك تجدون انفسكم قد وقعتم على موضع يقال له الالاهة • ثم منه تجدون الدرب ميسورا الى الشام • فانفرجت اسارير القوم الا شاعرنا ، فان نبوءة الكاهن رن صداها في اذنه اشبه بصوت الناقوس ينبيء بالخطر المحدق بالبشر منذرا بالرحيل والفناء • والانسان يحمل في اعماقه حاسة لا تعمل الا مرة واحدة في حياته ، هيحاسة الشعور بدنو الاجل واقتراب ساعة الموت •

فلما كان الركب في « الالاهة » حيي لهم الطريق ، وعزموا على النزول للراحة ، فامسك افنون عن النزول ، وتشبث بتلابيب ناقته قائلا : « انني عازم على البقاء ، ولن ابرح ظهر ناقتي » ظنا منه انه ان وطأت قدمه الارض ، ميت لامحالة • وعبثا حالوا ان يثنوه عن عزمه فلم يفلحوا • وترك ناقته ترتعى من عشب الارض ونباتاتها ، وهو لا يزال على ظهرها • وفجأة علقت بمشفر الناقة افعى ، حاولت الناقة التخلص منها بكل وسيلة ، فمسحت مشفرها في ساق افنون التغلبي ، فلسعت الافعى افنونا من ساقه ، فسقط على الارض • فلما احس بالموت يسري في احشائه طلب الى اخيه معاوية ان يحفر له قبرا ، وان يرحلوا عنه ، ثم تغنى قبل موته ، يبكي نفسه قائلا[١٤] :

الا لستُ في شيء فروحاً معاويا
ولا المشفقات اذ تبعن الحوازيا[١٥]

وان اعجبتك الدهر حال من امريءٍ
فدعه وواكل أمره واللياليا

يرحـــن عليـــه او يغيرن ما بـــه
وان لم يكن في جفوفه العيش وانيا(١٦)

فلا خير فيما يكذب المرير نفســـه
وتقواله للشـــيء يـــاليت ذا ليـــا

لعمرك ما يدري امرؤ" كيف يتقي
اذا هو لم يجعل لـــه الله واقيـــا

كفى حزناً ان يرحـــل الحي غدوةً
وأصبح في أعلى الاهة ثاويـــا(١٧)

يعلن افنون في هذه الابيات استسلامه للقدر القاهر ، بعد تمرر عتيد ، بل اصرار على تحدي الموت ، سواء بالسيف في ساحات القتال ، حيث يمنع الموت عن نفسه كما تشير مقطوعته في يوم « حاجر .. » المذكورة في آخر هذا البحث ، أم بتتبعه فكرة (الساعة المحتومـــة للانسان) باللجوء الى الحازي او الكاهن ثم الثورة عليه معلنا تمرده، لان فكرة الرفض لاتزال قائمة في نفسه . واخيرا تتساقط الاطر القديمة كأفكار مهزومة في صورة مواعظ وحكم تأخذ شكل عبارات وصيـــغ مكثفة وصغيرة على عادة اهل الجاهلية . فلا يعرف العقل ولاتدرك الحكمة الا في ساعة مواجهة الموت ... يستسلم في استغراق عميق ثم يغمض عينيه . « وتقواله للشيء ياليت ذا ليا » هذه العبارة تتكرر في شعر عنترة :

وقولك للشيء الذي لا تناله اذا ما حلا في الصدر ياليت ذا ليا

من قصيدته التي مطلعها :

الا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وكأن الشاعر الجاهلي يريد ان يصرخ في وجه عبثيـــة الحيـــاة ولا جداواها : وكل شيء باطل الاباطيل .. ثم كلمة نعي صغيرة ،اشبه بما يكتب على شواهد القبور يرثي فيها الشاعر نفسه ، وهي عـــادة

جاهلية قديمة ، عثر مثلها في الرقم التذكارية وفي الكتابات العربية قبل الاسلام لرجال غامضين ومتوجين ومشايخ، وقد وجدت كشواهد على قبورهم .

وروى ابن قتيبة[١٨] ان افنونا بعد لسعة الافعى مات من ساعته فقبره هناك . فهل ذلك يعني ان قبر افنون ظل شاخصا ومعروفاً حتى عصر ابن قتيبة ؟! ..

ومن الغريب حقاً أن يرثي شاعر آخر نفسه ، مستعينا بالبحر والقافية نفسهما ، وهو مالك بن الريب في قصيدته المشهورة والتي مطلعها[٢٠] :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا

وكذلك تروي القصص عن مالك بن الريب انه مات بلسعة افعى ، وانه طلب ايضا ان يخط له قبره ، ويترك ليموت ، مما يدل على ان افنونا التغلبي ، هذا البطل الملحمي في « أيام العرب » في العصر الجاهلي ، قد اخذ ابعادا شعرية ، ثم ضفى الخيال الشعبي الاصيل الى شخصيات متعددة والى ابطال آخرين نفس البعد الميثولوجي . وتوجد قصيدة اخرى تأخذ بالتقليد نفسه مقتفية أثر أبيات افنون التغلبي ، وهي رثاء عبد يغوث بن صلاءة الحارثي لنفسه في يوم الكلاب الثاني ، يقول في مطلعها[٢١] :

الا لاتلوماني كفى اللوم ماييا فمالكما في اللوم نفع ولا ليا

وقد سبق ان مرت بنا مثل هذه المقارنات في شخصية ربيعة بن مكدم وعنترة وعامر بن الطفيل في بحثنا حول ربيعة بن مكدم[٢٢] .

كان افنون وثنيا ، ومع ذلك ترد لفظة «الله» في شعره :

لعمرك مايدري امرؤ كيف يتقى اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ان دلالة اللفظة واضحة في شعره بالنسبة الينا كموحدين اسلاميين، بل حتى بالنسة للموحدين من الاديان السماوية الاخرى ، ولكن الدلالة

في ذهن البدوى الوثني تختلف ، وهي غامضة جدا .. فهي الان تعني الخالق الذي يقي البشر اذا اعتصموا بحبله ، فان جعلوا سواه واقيا ، و بتعبير ادق » اذا لم يجعلوه واقيا ، لايعرفون كيف يتقون آجالهم او اقدارهم المجهولة .. وسواء كان اللفظ ، لفظ الجلالة ، منصوباً أم كان مرفوعا بالفاعلية ، فان الدلالة لا تتغير، وهي ان الله يقي البشر، وهو عين المعنى الوارد في التنزيل الحكيم : والله خير حافظا . وقوله : ووقاهم ربهم . ولست اسلك افنونا في اصحاب العدل او القائلين بارادة الله في البشر كما فعل القدماء بلبيد والاعشى ، حين اخرجوا من شعرهما انهما كانا يقولان بالقدر والجبر وما الى ذلك ، فهذه ظاهرة في الشعر الجاهلي تطالبنا دراسة معمقة واهتماما خاصا .

واذا نحن اخذنا برأي «الفراء» ، وجدنا ان كلمة « الاهة » أو « الالاهة » في الاصل هي « اله » او « الاله » ثم زيدت التاء بعدئذ . فان كان الموضع مقدسا لوجود اله فيه او وجود بيت للآلهة او حمى أو شيء من ذلك ، يصبح حديث افنون من قبيل التشبث بالله ، المعبود كان المكيون ومن يعتقد بعقيدتهم يتخذون له وسطاء من الاوثان والاصنام يتوسطون لهم لديه والالاهة الشمس .

ويبدو ان افنونا التغلبي كان على صلة قريبة بمثل هذه الافكار التي تعد نادرة لدى الجاهليين . بل تدلنا بعض كلمات نويّته التي سترد انه كان يملك فكرة واضحة عن الخلق والعالم ، او ان لديه شيئا ثابتا من قصة الخليقة مشوبا بنموذج مسيحي او يهودي . ولعله كان يمزج فكر الوثنيين ببعض معتقدات التوحيديين . فذكر في شعره ادم ابا البشر ثم اورد تسميات لابطال اسطوريين في حياة الامة العربية .

لو انني كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ولقمان وذي جدن

وليست نبوءة الكهان بالموت في اساطير العصر الجاهلي مسألة غريبة. فلدينا يوم من ايام العرب هو «يوم حجر » وحجر والد امرىء القيس الشاعر المعروف ، فقد كان سببه وسبب مقتل حجر ، نبؤة

الكاهن الاسدي عوف بن ربيعة ، الذي تنبأ بموت حجر على يد الاسديين ، فاعطى نهايته ، ورسم صورة دموية رهيبة لمصيره ، يدفع بموجبها الاسديين الساخطين لينفذوا حكم الموت الذي اصدره هذا الكاهن الرهيب[٢٣] .

ويروي لنا يوم آخر من ايام العرب وهو يوم « الكلاب الثاني » قصة كاهن يقتل في الحرب على يد احد محاربي تميم ، ثم يسخر منه قاتله قائلا : الا اخبرك تابعك بمصرعك اليوم[٢٤] . وهذه القصة تعتبر ارهاصة تمرد على عالم الكهان العجيب ، تمهيدا لظهور الافكار الثورية الجديدة التي جاء بها الاسلام ، مؤكدا عالما عقلانيا قوامه الملاحظة الواقعية والتجربة العلمية ، فكان نهاية عصر ميتافيزيقي ، وبداية عصر الواقعية العلمية الذي امتزجت فيه العقلية العربية بثقافات الامم الاصلية .

وتنتشر ظاهرة الكهان في التاريخ العربي ، قبل الاسلام ، انتشارا ملحوظا . فلدينا ـ مثلا ـ كاهنة بني رئام التي انذرت قومها بالغارة[٢٥] . بل تمتد هذه الظاهرة في اعماق التاريخ العربي ، فمن ذلك ما يروى عن زرقاء اليمامة الكاهنة ذات البصر المشهور بحدته ، فقد انذرت قومها بالغارة ، ثم اخبرتهم بتحرك غابة باكملها نحوهم[٢٦] . بل ان ظاهرة الكاهنات والكهان تربط ميثولوجيا العرب وعباداتهم في الشمال من الجزيرة ، نجد والحجاز ، بميثولوجيا الجنوب ، اليمن وعباداتها[٢٧] .

ولا نملك من حياة افنون التغلبي ، وراء خبر موته شيئا . كأنما القصة ركزت على النهايات لغرض يتعلق بمعتقدات العالم القديم . لكننا نعرف انه كان يدعي صريم بن معشر بن ذهل بن تميم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمرو بن عثمان بن تغلب ، وانه كان يشبب بنساء قومه ، فقالت امرأة منهم : لاسمين نفسي وابنتي اسما لايشبب به صريم . فسمت بنتا لها : مضنونة ـ فقال صريم عند ذلك ليريها ان ذلك لاينفعها :

منيتنا الود يا مضنون مضنونا ازمـانا ان للشبان افنونا

فسمي افنونا بهذا البيت[٢٨] .

ومما نعرفه عن افون ايضا انه عاش فترة من عمره مخاصما قومه معرضا عنهم ، لانهم لم ينصروه في حق غبنه عليه ناس غرباء ، فقال في ذلك[٢٩] .

أبلـغ حبيبـاً وخلـل فـي سـراتهم
ان الفواد انطوى منهم على حزنِ[٣٠]

قد كنت اسبق من جاروا عـلى مهـل
من ولد ادم من لم يخلعوا رسني[٣١]

فـالـوا عليّ ولـم أملـك فيالتهـم
حتى انتحيث على الارساغ والثنن[٣٢]

لو انني كنـت مـن عـادٍ ومـن ارم
رُبّيتُ فيهم ولقمانٍ ومن جَدَنِ[٣٣]

لما فـدوا بأخيهـم مـن مُهَـوِّلةٍ
أخا السكون ولا جاروا على السنن[٣٤]

سألت قومي وقـد سـدت أباعرهم
مـا بين رحبة ذات العيص والعـدن

اذ قربوا لابن سـوار أباعرهـم
لله در عطـاء كـان ذا غبـن

انّى جزوا عـامرا سوآى بفعلهـم
أم كيف يجزونني السوآى من الحسن[٣٥]

أم كيف ينفع مـا تعطي العلوق بـه
رئمان أنف اذا مـا ضنّ بالّلبن[٣٦]

ويخيل الينا ان هذا الحادث وقع له في وقت متأخر من حياتـه ، والا فهو أحد القادة المشهورين في تغلب ، وكـان عزيزا بقومـه وبنفسه ، تشهد له الوقعات التي نذكرها له بعد قليل ، فلم يكن بحاجة لنصرة احد .

وتكشف لنا ملاحم الايام العربية حلقة من عشرات الحلقـات المفقودة من حياة هذا البطل الذي رسمته ريشة العبقرية العربيـة صانعة روايات «الايام» الشعرية والنثرية ، ذات الطابع الفني الفريد.

فلقد شهد افنون اكبر ايام قبيلته ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمرو ابن كلثوم عمرا الملك المعروف بعمر بن هند . وذلك كمـا تذكر الروايات المختلفة[٣٧] بان عمرو بن هند ، قال ذات يوم لندمائه :

ـ هل تعلمون ان احدا من اهل مملكتي من العـرب ، يأنف ان تخدم امه امي .

قالوا :

ـ نعم ، عمرو بن كلثوم .

قـال :

ـ ولم ذلك ؟!

قالوا :

ـ لان اباها مهلهل بن ربيعة[٣٨] وعمها كليب[٣٩] وائل اعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك بن عتاب افرس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو فيه .

فسكت عمرو بن هند على ما في نفسه .

ثم ارسل الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله ان يزير ليلـى هنـدا .

فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في فرسـان بني

تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب ، فنزل شاطيء الفرات .

وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات ، وارسل الى وجوه مملكته فحضروا ، وصنع لهم طعاما وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب ، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى بنت مهلهل ام عمرو بن كلثوم على هند في قبة في جانب الرواق . وهند ام عمرو بن هند عمة امرىء القيس الشاعر ، وليلى بنت مهلهل ام عمرو بن كلثوم هي بنت اخي فاطمة بنت ربيعة ام امرىء القيس .

وقد كان امر عمرو بن هند امه ان تنحي الخدم اذا دعا بالطُرف[٤٠] وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها ، فأكلوا ، ثم دعا بانطرف ، فقالت هند :

ـ يا ليلى ناوليني ذلك الطبق .

فقالت ليلى :

ـ لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها .

فأعادت عليها وألحت . فصاحت ليلى :

ـ وا ذلاه .. يا لتغلب .

فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، ونظر الى عمرو بن هند ، فعرف الشر في وجهه ، فنظر الى سيف لعمرو ابن هند معلق بالرواق ، وليس هناك سيف غيره . فقام الى السيف مصلتا ، فضرب به رأس عمرو بن هند فقتله . ونادى في بني تغلب فانتبهوا جميع ما في الرواق ، وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة. وقال افنون التغلبي [٤١] :

ولسنا كأقوام قريب محلهم

ولسنا كمن يرضونكم بالتملق[٤٢]

فســـائل شرجيلا بنا ومحلمـــا
غداة تكر الخيل في كل خندق(٤٣)

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعـا
لتخـــدم ليلى امـــه بموفق(٤٤)

فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا
فأمســـك من ندمـــانـــه بالمخنق

وجلّله عمرو على الرأس ضربـــة
بذي شطب صافي الحـديدة رونق

وقد كان مهلهل بن ربيعـــة وكلثوم بن عتاب وعمرو بن كلثوم اجتمعوا في بيت كلثوم على الشراب ، وعمرو يومئذ غلام ، وليلى ام عمرو تسقيهم ، فبدأت بأبيها مهلهل ، ثم زوجها كلثوم ، ثم عـــادت فردت الكأس الى ابيها وسقته ، وابنهـا عمرو عن يمينها ، فقـــال مغضبا(٤٥) :

صبنت الكأس عنـــا أم عمـر
وكان الكأس مجراهـا اليمينا(٤٦)

ومـــا شر الثـــلاثة ام عمـرو
بصـاحبك الـذي لا تصبحينـا

فلطمه ابوه وقال :

ـ يا لكع ، بلى والله شر الثلاثة ، اتجترىء ان تتكلم بهـــذا بين يدي . فلما قتل عمرو بن هند قالت له امه :

ـ بأبي انت وامي ، انت والله خير الثلاثة .

فقال عمرو بن كلثوم :

ابا هنـد فلا تعجل علينـــا
وامهلنـــا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايـات بيضـــا
ونصـــدرهن حمرا قد روينا
بأي مشيئة عمرو بن هنـــد
تطيع بنـــا الغواة وتزدرينا
بأي مشيئة عمرو بن هنـــد
نكون لقيلكم فيها قطينـــا
تهـــددنا واوعـــدنا رويدا
متى كنـــا لامك مقتوينـــا
فان قناتنـــا يا عمرو اعيت
على الاعداء قبلك ان تلينـــا

وتتصل قصة حياة افنون التغلبي ، لدى الروائيين العرب ، بقصة حياة ملوك كندة من بني اكل المرار وحياة بني تغلب التي ساهمـــت في طرد كندة وملوكها من شمال الجزيرة . فبعد يوم الكلاب الاول ، الذي قتل فيه شرجيل عم امرىء القيس ، وقد ذكره امروء القيس في شعره(٤٧) :

واعلـم انـــي عمـــا قليل
سأنشب في شبا ظفر ونـــاب
كما لاقى ابي حجر وجـــدي
ولا أنسى قتيلا بالكـــلاب

قامت تغلب فطردت سلمة بن عمرو ، عم امرىء القيس ، وكـــان يلقب بالغلفاء ، لما قتلت اخاه شرجيل بن عمرو ، فضمته اليها قبيلـــة بكر بن وائل ، فاجتمعت تغلـــب ورئيسها عمرو بن كلثوم ، والنمر ورئيسها قيس بن زهير النمري وجعلوا امرهم الى عمرو بن المنـــذر وهو عمرو بن هند . وفي هذا اليوم اقسم ابن هند ان هو ظفر ليذبحن من قدر عليه من البكريين على قمة جبل اوارة حتى يبلغ الـــدم قرار الارض . فلما ظهرت تغلب والنمر على بكر ، جعل الملك ابن هنـــد

يذبح الرجال والدم يجمد في موضعه . فتقدم ربيعة بن حبيب التغلبي فقـــال :

ـ انا ابر يمين الملك .

قال :

ـ بمـــاذا ..

قـــال :

ـ اذا قتلت رجلا فصب على دمه روايا الماء ، فانـــه يبلغ قرار الارض . فسمي ربيعة يومئذ الوصاف .

فقال افنون التغلبي في ذلك اليوم[٤٨] :

هزمنـــا جمع حـــارثة بن بدر
مع الغلفـــاء في العصب العجـــال
رمينـــــاهم بأرعن مشـــمخر
تهـــد لصوتـــه صم الجبـــال
فظلوا بـــين مغتبط قتيـــــل
وكابى الجد يرسف في الغـــلال
وللغلفـــاء سلمـــة بعـــد هدٍ
نوائح يلتدد من بســوء حـــال
وتال السيف حـــــارثة بن بدر
وخـــامت عـــن حميتـــه الموالي
بهضب من اوارة والمنـــايـــا
موكلـــة باعنـــاق الرجـــال

ويذكر الشمشاطي في الانوار ومحاسن الاشعار انه ترك اشـــعار افنون في يوم اوارة لطولها .

وهـــذا يوم ثالث من « ايام العرب » يبرز فيه افنون التغلبي قائدا يهزم العامريين . وهو يوم حاجر ، فقد جاء في الانوار ومحاسن الاشعار[٤٩] انه خرج صريم بن معشر بن ذهل بن تيـم بن بكر بـن

مالك بن حبيب ، وهو افنون ، في جمع من بني تغلب ، يريد بني عامر . فأغار عليهم بموضع يقال له : حاجر[٥٠] . وكان سيد هوازن ذلك اليوم طفيل[٥١] بن مالك ، فقاتلته هوازن عن حريمها اشد قتال ، ثم ولت منهزمة ، واخلت البيوت في ايديهم .

وعطف عبيدة بن مالك بن جعفر على بني تغلب في حماة اصحابه، فقاتلوهم حتى ازالوهم عن البيوت . وحمل افنون على عبيدة فطعنه فقتله ، وولوا وأسر ابو اسماء حبيب بن الضريبة ، وهو فارس بني نصر وشاعرهم ، واسر ابنا مسافر وعبدالله بن نصر ، وهرب طفيل بن مالك ركضا ، واصابت تغلب النساء والنعم .

وقال افنون في ذلك :

سمونا الى عليا هوازن بالقنا
وجرد كأمثال القداح ضوامر
تئن انين الحاملات وتشتكي
عجاناتها من طول نكب الدوائر
فما زال هذا الدأب حتى صبحتها
على ما بها من جهدها اهل حاجر
فغودر في وقع العجاجة منهم
عبيدة يدعو شاعرا يا لعامر
صريع قنا في عصبةٍ عامرية
صريحية الانساب غير عواور
وقدنا ابا أسماء قائد قومه
وقد وطئته خيلنا بالحوافر
وحورٍ كأمثال القنا عامرية
عذارى اختلينا بالرماح الخواطر
ونحن متى ما نرم قوما ببغضةٍ
شجىً ناشب بين اللّها فالحناجر

وقال ابن داود الرواسي :

ان الفوارس من حبيب جدّعت
بعبيدة الوهاب حي هوازن

أودى صريم" بالذين هم هم
اهل الحفائظ والفعال الزائن

صبروا لكل مهند ذي رونق
صافي الحديد وكل أسمر مارن

حتى تكشّفت العجاجة عنهم
صرعى بابطح حاجر المتباطن

وابن الضريبة في فوارس قومه
طوع الجنيبة كالقريع الساخن

ويظل شعر افنون التغلبي مدفونا في بطون الكتب والمخطوطات حتى تظهر النسخة المفقودة من كتاب اشعار تغلب لابي عمرو الشيباني(٥٢) ويظهر كتاب الايام لابي عبيدة ، وعندئذ تتوفر لدينا نخبة طيبة من الاخبار والاشعار عن هذا الفارس الشاعر ، والله تعالى هو الموفق الى صواب الرأي والعمل .

---

(١) ينظر بحثنا : الرمز والاسطورة في الادب الجاهلي . نشروزارة الاعلام ضمن كتاب : الشعر والمجتمع ص٩٥ سنة ١٩٧٤ .

(٢) يراجع القسم السادس من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . د. جواد علي .

(٣) السيرة الحلبية ٤/١ .

(٤) الاغاني ٨٤/٩ .

(٥) تراجع مقدمة جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي ، وهي مقدمة قيمة تبحث في العالم الميثوبي الذي كان يغلف الاجواء الشعرية العربية قبل الاسلام . ويلاحظ حديث البرفسور نكلسون عن علاقة الشعر بالسحر والكهانة ، وقد ساق لهذه العلاقة مثلا من قصة شاب رفض ذوو حبيبته تزويجه منها لانه لم يكن كاهنا ولا ساحرا ولا شاعرا (تاريخ العرب الادبي) .

(٦) راجع معنى الكلمة في شرحنا لقصيدة افنون اليائية المذكورة بعد قليل .

(٧) الابيات في الحماسة للبحتري ص ٢٥٩ .

(٨) الحازي زاجر الطير (انظر تفسير الكلمة في هامش (١٢) . والشاحج : الغراب الذي يشحج اي ينعق بصوت خشن غليظ .

(٩) نجشت : ثارت . كدس جمع كادس ، وهو الذي يجيء من خلف . والعرب تتشاءم به ، ويسمى القعيد ايضا . والغمرة : الجماعة من الظباء والوعول . يريد الذي يخرج من بينها بالتخلف او بالسبق ويدركه او يدركها سريعا فيلح فيها . وذلك كناية عن شدة عدوها .

(١٠) خلجه اي انتزعه وجذبه . والمعنى انه لا يمكن ان ينتزع الانسان من يد الموت اذا حانت ساعته .

(١١) المشبوبة : النار المرئية من بعيد . الحادج : الذي يمشي على هون وضعف .

(١٢) الحازي والكاهن بمعنى واحد. وهي آرامية، وقدجمعها افنون على حوازي في شعره كما سنرى. وبمقتضى هذا القياس جمع الانباري في شرح المفضليات كلمة «كاهن» على «كواهن» .وعلق الشيخ احمد محمد شاكر على قياس الانباري قائلا : هو حجة . (المفضليات ٢٦١) .ولعل في رأي بعض اللغويين العرب شيئا من الوجاهة في قولهم ان كلمة : حوازي وكواهن جمع للاناث مثل حازيات وكاهنات . ويقال للذكور : حزاة وكهان . الراي للعلامة المرحوم مصطفى جواد .

(١٣) في معجم البلدان لياقوت ٣٤٧/١ انه كان يركب حمارا وليس ناقة . وانه قال لاصحابه : اني ميت . قالوا :« ما عليك بأس » . فنهش حماره ونهق فسقط . فقال : اني ميت . قالوا : ما عليك بأس. قال : « وكم ركض الحمار » . فارسلها مثلا . ثم قال يرثي نفسه ، وهو يجود بها . وذكر الابيات .

(١٤) القصة في العقد الفريد ٢٤٧/٣ والشعر والشعراء ٤١٩/١ والبكري معجم ما استعجم ١٨٦/١ ولويس شيخو ١٩٢/١ ووردت الابيات في العقد (الثاني والثالث والرابع والخامس) وحماسة البحتري ٥٧ (الابيات كلها) بترتيب مختلف . والشعر والشعراء (الاول والثالث والرابع والخامس) والبكري معجم (الرابع والخامس والموءتلف والمختلف ٢٢٥ (الرابع والخامس) ومعجم البلدان ٣٤٧/١ (الثاني والرابع والخامس) والبغدادي ٤٦٠/١ (والرابع والخامس) ولويس شيخو ١٩٢/١ الاول والثاني والثالث والخامس والسابع .

(١٥) يراجع الهامش ١٢ حول كلمة الحازي . والمشفقات النسوة اللواتي يشفقن على اولادهن من الموت والمرض فيتبعن الكهان ، ينظرون لهن في مستقلهن ، ويصنعون لهن الرقى والتعويذات . فهو يقول : لست سعيدا ولا مصدقا قول الكهان ، وكذلك الوالدات .

(١٦) هذه رواية الحماسة للبحتري واحدى نسخ العقد الفريد واما النسخة المعتمدة في العقد فروايتها : في خوفه العيث وانيا . والبيت غير موجود في المفضليات .

(١٧) في رواية : لا تبغى بنفسك باقيا . والذي اثبتناه هي رواية المفضليات .

(١٨) هذه رواية المفضليات . ويروى : القوم بدل الحي . والاهة موضع ذكرناه في متن البحث . وهي ايضا الشمس ، وكان قوم من العرب يعبدونها . قالت آمنة بنت عتيبة ترثي اباها :

تروحنا من اللعباء عصر
فاعجلنا الالاهة ان تؤوبا
على مثل ابن مية فانعياه
تشق نواعم البشر الجيوبا

يراجع العقد الفريد ٥/٢٤٩ واللسان ـ مادة لعب ـ .

(١٩) الشعر والشعراء ١/٤١٩ .

(٢٠) مجموعته الشعرية ص٨٢ في مجلة معهد المخطوطات مايو ١٩٦٩ جمع وتحقيق د. نوري القيسي وانظر ما نقله المحقق بان الجن اتت مالك بن الريب بهذه القصيدة البائية . وهذا ليس فكرا اسلاميا بل امتداد لوثنية جاهلية .

(٢١) الاغاني ١٦/٢٩ ٣.

(٢٢) تراجع مجلة كلية الآداب ـ مقالة بعنوان ربيعة بن مكدم «حامي الظعينة» ص٧٥ العدد ١٩ .

(٢٣) الاغاني ٩/٤ ٨.

(٢٤) خبر يوم الكلاب الثاني في النقائض ١/١٤٩ (اوربا) ١/١٣٦ (الصاوي) .

(٢٥) يقال لها زبراء ولها خبر طويل في الامالي ١/١٢٦ .

(٢٦) تعيد الى الذهن مشهدا من مسرحية شكسبير المتعلق بقيام الساحرات باخبار ماكبث عن تحرك غابة برنام . وبالفعل اخبره بذلك حارس القصر .

(٢٧) يراجع فصل (سجع الكهان) في كتاب العصر الجاهلي لشوقي ضيف ص٤٢٠ .

(٢٨) النقائض ٨٨٦/٢ والشعر والشعراء ٤١٩/١ والعقد ٢٤٧/٣ والاغاني ٥٥/١١ وسمط للالي ٦٨٤ والاشتقاق ٣٣٦ والموءتلف والمختلف ص٢٢٥ صحف الاسم الى (مضمون) بدل (مضنون) والمزهر للسيوطي ٤٣٥/٢ ولويس شيخو ١٩٢/١ وتراجع كلمة افنون في الجمهرة لابن دريد ١١٨/١ .

(٢٩) المفضلية (٦٦) البيان والتبيين ٩/١ ، ١٩٠ (البيت ٤ + ٥ + ٨) والامالي ٥١/٢ (البيت ٨ + ٤٩) وسمط اللالي ٦٨٤ (البيت ٤ + ٥ + ٦) والكامل للمبرد ٥٢/٢ (البيت ٨ + ٩) وامالي ابن الشجري ٣٧/١ ورغبة الآمل للمرصفي ٥٢/٢ قال : هي لافنون وقد تبرأ منه قومه لكثرة جرائره . واورد كما في المفضليات . والبغدادي ٤٥٥/٤ـ ٤٦٠ وقال اوردها لافنون التغلبي ابو عرو الشيباني في اشعار تغلب والمفضل في المفضليات . وذكر الابيات الاب لويس شيخو اليسوعي ١٩٢/١ . والابيات في الاختيارين ص ٤٠٣ برواية الاصمعي عن ابي عمرو .

(٣٠) لويس شيخو (بلغ) بدل (ابلغ) . وحبيب : قبيلة افنون . وخلل : اي حصهم بالبلاغ .

(٣١) خلعوا رسني : اي تبرءوا مني .

(٣٢) فالوا علي : من الفيلونة وهي ضعف الرأي . اي اخطئوا في الراي .

(٣٣) رواية العجز في البيان والتبيين ٩/١ (غذي قيل ولقمان وذي جدن) ثم رواه ص ١٩٠ نفس رواية المفضليات المثبتة عندنا . ويروى (غذي سخل) ينظر مجالس العلماء للزجاجي ٤٢ .

(٣٤) انتحيت : اعتمدت . والارساغ جمع رسغ . والثنن : جمع موءخر الرسغ . اي اعتمدت على اسافل الناس .

(٣٥) المبرد في كتابه الكامل ، نقل رواية لابي عمرو بن العلاء بانه استشهد بكلمة السوآى من فعلى ، وكان يقرأ : ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوآى .

(٣٦) لعلماء النحو اقوال في كلمة (رئمان) وبعضهم يعطيها ثلاثة وجوه اعرابية ، ينظر الزجاجي ـ مجالس العلماء ص٤٢ وبالامكان مراجعة البغدادي ٤٥٥/٤ـ٤٦٠ حيث شرح القصيدة شرحا وافيا .

(٣٧) النقائض ٨٨٤ الاغاني ٥٣/١١ ابن الاثير ـ الكـــامل ٣٣٠/١ والشعر والشعراء ٤١٩/١ .

(٣٨) الشاعر المعروف ، بطل الملحمة الشعبية القادمة من العصـــر الجاهلي : الزير سالم .

(٣٩) كليب اخو مهلهل ، كانت بسببه ملحمة البسوس، وهي الاصل المثقف للزير سالم .

(٤٠) الطرف : الفواكه وما شاكلها ، توءخذ بعد الطعام .

(٤١) النقائض ٨٨٤ (الثالث والرابع) والشعر والشعراء ٢٣٤/١ (الثالث فقط) وعجزه (لتخدم امي امه) وهو سهو منه ، لان المعنيـــة بالبيت ام عمرو بن كلثوم وليس افنون التغلبي . والمحبر ٢٠٤ والاغاني ٥٥/١١ وابن الاثير ـ الكامل ٥٤٩/١ (الثالث والرابع) ولويس شيخو ١٩٢/١ كما في الاغاني . والابيات كلها في ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي ص١٦ (نشر فريتس كرنكو بيروت ١٩٢٢) قال رجل يرثـــي حنيا التغلبي ، لما قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هنـــد ، وهو افنون التغلبي : وحني التغلبي هو ابو جابر بن حني التغلبي احد شـــعراء المفضليات وقد توهم الجاحظ في كتابه «الحيوان» ١٣٥/٣ وعزاهـــا سهوا الى جابر ، والصواب ما اثبتناه .

(٤٢) رواية الجاحظ : يرضيكم .

(٤٣) شرحبيل عم امريء القيس ، قتيل الكلاب الاول ، ويتصـــل حديثه بنا بعد قليل . ومحلم هو محلم بن ذهل بن شيبان وكان ابنـــه عوف مشهورا بوفائه .

(٤٤) رواية الشعر والشعراء : (لتخدم امي امه) فجعل ام عمرو بن كلثوم وام افنون التغلبي واحدة ، وهو سهو من ابن قتيبة . يراجع الهامش ٤١ .

(٤٥) الزوزني ـ شرح المعلقات السبع ص١٦٣ .

(٤٦) صبنت : صرفت .

(٤٧) القصيدة رقم (١١) في ديوانه نشر ابي الفضل ابراهيم طبـع دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .

(٤٨) انظر خبر يوم اوارة والابيات في مخطوطة الانوار ومحاســن الاشعار للشمشاطي الورقة ٦٤ وما بعدها . وخبر هذا اليوم مـــذكور في النقائض برواية مختلفة بعض الشيء .

(٤٩) الشمشاطي ورقة ٦٩ . ويوجد يوم آخر بهذا الاسم رواه ابو عبيدة ، يراجع العقد الفريد ٣١١/٥ ونهاية الارب ٣٩٦/١٥ ويوم ثالث بالاسم نفسه قتل فيه حصن بن حذيفة ، قتله كرز العقيلى فرثـــاه الحطيئة فقال من قصيدة :

فقبر باجبال وقبر بحاجر وقبر القليب اسعر القلب ساعره

(٥٠) قال ابو عبيدة : هو موضع في ديار بني تميم . معجم مـــا استعجم ٤١٦/٢ وينظر الهامش السابق .

(٥١) هو (طفيل الخيل) والد عامر بن الطفيل ، واخو معاوية بـن مالك (معوذ الحكماء) وعامر ابي براء (ملاعب الاسنة) وربيع بن مالك (ربيع المقترين) وهو ربيعة ايضا والد لبيد بن ربيعة الشاعرالمعروف ، وسلمى بن مالك (نزال المضيق) .

(٥٢) البغدادي ٤٥٥/٢ وما بعدها .

المصادر والمراجع

١ ـ الاشتقاق ـ ابن دريد ابو بكرمحمد بن الحسن ـ ت:عبدالسلام محمد هارون مصر ١٩٥٨ .

٢ ـ الاغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الكتب المصرية .

٣ ـ الامالي ـ ابن الشجر ابو السعادات هبةالله . حيـــدر اباد الدكن ١٣٤٨ .

٤ ـ الانوار ومحاسن الاشعار للشمشاطي علي بن محمد ـ مخطوطة مصورة ـ عن نسخة طوبقيو .

٥ ـ البيان والتبيين ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ ت: عبدالسلام هارون . مصر ١٩٤٨ .

٦ ـ جمهرة اشعار العرب ـ ابو يدمحمد بن ابي الخطابالقريشي. ت: البجاوي ـ القاهرة .

٧ ـ الحيوان ـ عمرو بن بحر الجاحظ ـ ت: عبدالسلام هارون ـ بيروت ١٩٦٩ .

٨ ـ الحماسة ـ ابو عبادة البحتري ـ ت: كمال مصطفى . ط. اولى . الرحمانية . مصر ١٩٢٩ .

٩ ـ خزانة الادب . عبدالقادر بن عمر .ط. بولاق ١٢٩٩ .

١٠ ـ ديوان امرىء القيس ـ ت: ابي الفضل ابراهيم طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .

١١ ـ ديوان عمرو بن كلثوم . نشر فريتس كرنكو . بيروت ١٩٢٢ .

١٢ ـ ديوان عنترة ضمن مجموعة الشعراء الستة الجاهليين . رواية الاعلم .

١٣ ـ رغبة الامل ـ للسيد بن علي المرصفي . حاشية الكامل . م. النهضة مصر ١٩٢٧ .

١٤ ـ سمط اللالي ـ البكري ابو عبيد عبدالله . لجنة التأليف . مصر ١٩٣٦ .

١٥ ـ شرح المفضليات . القاسم بن بشار الانباري . ت: ليال . بيروت ١٩٢٠ .

١٦ ـ شرح القصائد التسع الطوال ـ النحاس ابو جعفر . ت: احمد خطاب العمر بغداد ١٩٧٤ .

١٧ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة . ت: احمد محمد شاكر . المعارف ١٩٦٦ .

١٨ ـ شعراء النصرانية ـ لويس شيخو اليسوعي . ط.اولى . بيروت ١٨٩٠ .

١٨ ـ الشعر والمجتمع ـ مجموعة بحوث مهرجان المربد . وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٤ .

٢٠ ـ العصر الجاهلي ـ الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف . مصر ط. رابعة .

٢١ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه . ت: احمد امين وجماعته . لجنة التأليف مصر .

٢٢ ـ الكامل في اللغة والادب ـ المبرد ـ مطبعة النهضة ـ مصر ١٩٢٧ .

٢٣ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ـ طبعة بيروت اولى .

٢٤ ـ المؤتلف والمختلف . الحسن بن بشر الامدي . ت: عبدالستار احمد فراج . البابى الحلبي مصر ١٩٦١ .

٢٥ ـ المزهر ـ للسيوطي . ت: محمد احمد جاد المولى وجماعته. ط. البابى الحلبي . مصر ١٩٥٨ .

٢٦ ـ مجلة كلية الاداب بمداد . العدد التاسع عشر .

٢٧ ـ المحبر ـ محمد بن حبيب . ط. حيدر اباد ١٩٤٢ .

٢٨ ـ معجم ما استعجم ـ البكري . ت: مصطفى السقا . لجنة التأليف ١٩٤٥ .

٢٩ ـ معجم الادباء ـ ياقوت ـ طهران ١٩٦٥ .

٣٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . د. جواد علي . طبعة اولى . بيروت .

٣١ ـ المفضليات . ت: احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون . دار المعارف ١٩٦٤ .

٣٢ ـ النقائض . المنسوب لابي عبيدة . نشرة (اوربا) ونشرة (الصاوي) .

٣٣ ـ نهاية الارب في فنون الادب . أحمد بن عبدالوهاب النويري طبعة دار الكتب .

٣٤ ـ كتاب الاختيارين . ت : فخر الدين قباوة . طبع دمشق .